يأخذ بيدها ويرشد مسعاها ولما رقد كل من في القصر وخيّم السكون على ارجآئهِ نهضت فكتبت بضعة اسطرٍ لوالديها تظهر لهما فيها ما ركبا من الخطآء والقسوة في اصرارهما على اكراهها وختمتها بوداعهما ثم تركت الكتاب على سريرها وحملت كل ما كان في غرفتها من الحلى والحجارة الكريمة والنقود وانسلّت الى غرفة الخدم لتوقظ روبرتو فلم تجدهُ في سريرهِ . فوقفت تفكر هنيهةً ثم خرجت الى الحديقة وقد اضطربت افكارها ولم تدرِ كيف تؤوّل معنى غيابهِ وبينا خطت بعض خطواتٍ شعرت بصوتٍ تحت نافذة غرفتها فاقتربت فاذا روبرتو جاثٍ على التراب وهو يبتهل الى الله ان يلهمهُ ماذا ينبغي ان يفعل . فلم تلبث ان جثت بجانبهِ ولما اتمّ صلاتهُ اسرّت اليهِ ما عزمت ان تفعلهُ ثم قادتهُ بيدهِ الى باب الحديقة السرّي فخرجا من هناك وانطلقا تحت ستر الظلام ولما فصلا عن المنزل استأجرا لهما عربةً فركباها وقصدا بلدةً اخرى على مسافة عدة ساعاتٍ فبلغاها عند طلوع الفجر ثم صرفا العربة وتوجها الى ديرٍ هناك فدخلاهُ وطلبت روزا مواجهة رئيسهِ فلما وافى قصّت عليهِ ما كان من حديثها وحديث والديها ولما وثق بصحة كلامها لم يبطئ ان اتمّ عقد روبرتو عليها ثم ادخلهما الى غرفةٍ فاقاما بياض نهارهما في الدير وعند المسآء البسهما ملابس الرهبان واركبهما على دابّتين من دوابّ الدير وصرفهما مزوّدين ببركتهِ ودعآئهِ . فخرجا يجدّان السير وقد عزما على مزايلة تلك الولاية باسرها والتقدم الى حدود فرنسا وكانا يسيران في الليل وينزلان في النهار الى ان مضى عليهما اربعة ايام . وفي مسآء اليوم الخامس عاودا المسير وكانت في طريقهما غابةٌ كثيفة فدخلا في تلك الغابة

الشعر

(تتمة ما في الاجزآء السابقة)

وقد قدّمنا ان الاغراض الشعرية على ضربين احدهما ما يُقصَد بهِ العمل في القلب والتلاعب بحركات النفس وانفعالاتها فيتحرّى فيهِ ذكر الاحوال المهيجة للحزن او الفرح او الغضب او الأَنفة او غير ذلك وهو الاصل في غرض الشعر كما سبق الايمآء اليهِ . والثاني ما يُنحى فيهِ الى إعمال الذهن والتأثير على القوى المدركة بما يخيَّل لها من الصور المبتدَعة والتماثيل المزخرفة وهذا الضرب اقرب الى مذاهب البلاغة منهُ الى اسلوب الشعر وعليهِ غالب شعر العرب لولوعهم بالإغراب وبنآء لغتهم على التفنن في طرق البلاغة على ما هو معروف من مذهبهم في سائر كلامهم . والأمثلة من هذا اشهر من ان تذكَر وقد مرّ منها في الاجزآء الماضية ما يغني عن الاطالة هنا . واما المعاني الوجدانية فالوارد منها في شعرهم عزيزٌ نادر لا يحضرنا منهُ الا امثلةٌ قليلة نورد بعضها في هذا الموضع بمنزلة نموذج يظهر بهِ الفرق بين المذهبين . فمن ذلك قصيدة مالك بن الريب التميمي يرثي نفسهُ وكان قد خرج مع سعيد بن عثمان لما ولي خُراسان فلما كان في بعض الطريق اراد ان يلبس خفّهُ فاذا بافعى فيهِ فلسعتهُ فلما احسّ بالموت انشأ هذه القصيدة ومنها يقول

تفقدتُ من يبكي عليَّ فلم اجد ... سوى السيف والرمح الرُديني باكيا
وأشقرَ خنذيذٍ يجرُّ عنانهُ ... الى المآء لم يترك لهُ الموت ساقيا

يريد بالاشقر مهرهُ والخنذيذ الجسيم . ومنها

ويا صاحبيَّ رحلي دنا الموت فانزلا ... برابيةٍ اني مقيمٌ لياليا
أقيما عليَّ اليوم او بعض ليلةٍ ... ولا تُعجلاني قد تبيَّن ما بيا
وقوما اذا ما استُلَّ روحي فهيِّئا ... ليَ القبر والاكفان ثم ابكيانيا
وخُطّا باطراف الاسنّة مضجعي ... ورُدّا على عينيَّ فضل ردائيا

خُطّا اي شُقّا والمضجع القبر وهي قصيدة طويلة. ومن ذلك قول ابي العتاهية

سيُعرَض عن ذكري وتُنسى مودّتي ... ويحدث بعدي للخليل خليلُ
اذا ما انقضت عني من الدهر مدّتي ... فان غَناء الباكيات قليلُ

ويُنسَب الى الرئيس ابي عليّ بن سيناء

لقد طفتُ في تلك المعاهد كلها ... وسيَّرتُ طرفي بين تلك المعالمِ
فلم أرَ الا واضعاً كفَّ حائرٍ ... على ذَقَنٍ او قارعاً سنَّ نادمِ

وقريبٌ منهُ قول عبدالله بن طاهر وقد مات اخوهُ سليمان فوقف على تربتهِ وفيها اهلهُ وانشد

النفس ترقى بحزنٍ في تراقيها ... وعبرة العين تجري من مآقيها
لبُقعةٍ ما رأت عيني كقلّتها ... ولا ككثرة احبابٍ ثووا فيها

ومن ذلك قول بعضهم

تمتَّع بها ما ساعفتك ولا تكن ... عليك شجىً في الحلق حين تبينُ
وان هيَ اعطتك اللّيان فانها ... لغيرك من خلاّنها ستلينُ
وان حلفت لاينقض النأيُ عهدها ... فليس لمخضوب البنان يمينُ

الشجى ما يعترض في الحلق من عظم ونحوهِ . والنأي البعد . ومخضوب البنان كناية عن المرأة . والرأس في هذا النوع قول البسوس بنت منقذ

التميمية خالة جساس بن مرّة حين عقر كليب ناقة جارها سعد الجَرْميّ في القصة المشهورة فلما رأت الناقة وهي تعجّ والسهم في ضرعها صكّت وجهها وصاحت وا ذُلّاه واجوار جسّاس واجوار همّام واجوار مرّة واجوار بني ذُهل ثم انشدت

لعمريَ لو اصبحتُ في دار منقذٍ ... لما ضِيمَ سعدٌ وهو جارٌ لأَبياتي
ولكنني اصبحتُ في دار غربةٍ ... متى يعدُ فيها الذئبُ يعدُ على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل ... فانك في قومٍ عن الجار اموات
ودونك أذوادي اليك فانني ... محاذِرةٌ ان يغدروا ببُنيّاتي

اذوادي نياقي

وسِرْ نحو جَرْمٍ ان جرماً اعزّةٌ ... ولا تكُ فينا لاهياً بين نِسوات

فلما انشدت هذه الابيات اوغرت صدور القوم ثم نشبت الحرب بين قبيلتي بكر وتغلب فدامت فيما يقال اربعين سنةً والعرب تسمي ابياتها هذه بالموثبات

ويكثر في شعر العرب التكلم في ضروب الآداب ووصف محاسن الاخلاق والحض على الحلم والمجاملة والتمسك باسباب الحزم الى ما شاكل ذلك مما جمعهُ صاحب كتاب الحماسة تحت عنوان الادب والامثلة من هذا اكثر من ان تُحصى نذكر منها قول السموأل من قصيدتهِ المشهورة

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ ... فكل ردآءٍ يرتديهِ جميلُ
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها ... فليس الى حسن الثنآء سبيلُ

وقول معن بن اوس

اذا انت لم تنصف اخاك وجدتهُ ... على طرف الهجران ان كان يعقلُ

ويركب حدَّ السيف من ان تضيمهُ ... اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحلُ
وكنتُ اذا ما صاحبٌ رام ظِنّتي ... وبدَّل سوءًا بالذي كنت افعلُ
قلبت لهُ ظهر المِجَنّ فلم أدُم ... على ذاك الا ريثما اتحولُ
اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ... اليهِ بوجهٍ آخرَ الدهر تُقبلُ

وقول حاتم الطآئي

اذا كنتَ ربًّا للقلوص فلا تدَع ... رفيقك يمشي خلفها غير راكبِ
أنِخها فأردِفهُ فان حملتكما ... فذاك وان كان العقابُ فعاقبِ
وما انا بالساعي بفضل زمامها ... لتشرب مافي الحوض قبل الركائبِ

القلوص الناقة الفتيّة والإرداف ان تُركِبهُ خلفك والعقاب مصدر عاقب وهو ان يركب احد الرجلين مرّةً والآخر مرّة . وقولهُ ايضاً

ولا نطرق الجارات من بعد هجعةٍ ... من الليل الا بالهديّة تُحمَلُ
ولا يُلطَم ابن العمّ وسط بيوتنا ... ولا نتصبى عِرسهُ حين يغفلُ

وقول المؤمّل بن أميل المحاربي

وكم من لئيمٍ ودَّ أني شتمتهُ ... وان كان شتمي فيهِ صابٌ وعلقمُ
ولَلكفُّ عن شتم اللئيم تكرُّماً ... اضرُّ لهُ من شتمهِ حين يُشتَمُ

ومن احسن ما جآء لهم في ذلك قول زهير بن ابي سلمى من معلقتهِ المشهورة وهي الابيات التي عُدّ لاجلها اشعر العرب

ومن لا يصانع في امورٍ كثيرةٍ ... يعُزْها ومن لا يتّقِ الشتم يُشتَمِ
ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلهِ ... على قومهِ يُستغنَ عنهُ ويُذمَمِ
ومن هاب اسباب المنايا ينلنهُ ... ولو رام اسباب السمآء بسلَّمِ

ومن يجعل المعروف في غير اهلهِ ... يكن حمدهُ ذمًّا عليهِ ويندمِ
ومن لا يَذُدْ عن حوضهِ بسلاحهِ ... يهدَّمْ ومن لا يظلم الناس يُظلَمِ
ومن يغتربْ يحسب عدوًّا صديقهُ ... ومن لا يكرّمْ نفسهُ لا يكرَّمِ
ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ ... وان خالها تخفى على الناس تُعلَمِ
وكائِنْ ترى من صامتٍ لك معجبٍ ... زيادتهُ او نقصهُ في التكلمِ
لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادهُ ... فلم يبقَ الا صورة اللحم والدمِ

وكل ذلك مع شرف اغراضهِ ونباهة معانيهِ وما فيهِ من البلاغة والحسن غير مندمجٍ في شرط الشعر لان غالبهُ من الحقائق المحضة وانما هو من باب الخطابة وفائدتهُ تهذيب الاخلاق وتنبيه الفِطَن وحفظ تلك الاقوال للتمثل بها في وقت الحاجة دون مشاغلة النفس بمثل ما ذكر من الصور الخيالية . ولهذا المعنى اخرج بعضهم كلام المتنبي وأبي العلآء المعرّي من الشعر لانهما كثيراً ما يجوان فيهِ الحكمة وضرب المثل وكلاهما ليس في مذهب الشعر ولا من اغراضهِ

ويلحق بذلك نظم الوقائع التاريخية وما يتصل بها على طريق السرد المقصود بهِ مجرّد ذكر تلك الوقائع كما فعل الشيخ ابرهيم الحلبي في نظم السيرة النبوية وابن جابر الاندلسي في نظم فضائل الصحابة العشرة وغير ذلك مما نُظمت فيهِ الحوادث بصورتها الواردة في كتب التاريخ . وانما يحسن مثل هذا اذا أُفرغ في قالبٍ شعريّ بان يُضَمّ اليهِ ما يزيّن بهِ من المعاني المخترعة او المستنبطة من سياق الوقائع بحيث يكون فيهِ شغلٌ للمخيلة يُدخلهُ في حدّ الشعر وذلك كما فعل الشيخ محمد البوصيري مثلاً في بردتهِ وهمزيتهِ

المشهورتين اللتين جلّى بهما على شعر كل شاعر ولا سيما الهمزية منهما مع تضمينها التاريخ النبوي بكل حوادثهِ وملحقاتهِ . ويتصل بما ذُكر مثل قول النابغة يعتذر الى النعمان حين وُشي بهِ اليهِ

اتاك امرؤٌ مستبطنٌ لي بغضةً ... لهُ من عدوٍّ مثل ذلك شافعُ
اتاك بقولٍ هلهلِ النسج كاذبٍ ... ولم يأتِ بالحق الذي هو ناصعُ
اتاك بقولٍ لم اكن لأقولهُ ... ولو كُبّلت في ساعديَّ الجوامعُ

قولهُ لهُ من عدوٍّ الخ اي لهُ شافعٌ من عدوٍّ مثلهِ والشافع هنا من شفعت الشيء اي صيرتهُ شفعاً وهو الزوج . والهلهل السخيف . والجوامع جمع جامعة وهي قيدٌ تُجمع بهِ اليدان الى العنق . والتكبيل التقييد واراد ولو كُبّل ساعداي بالجوامع فقلب الكلام للضرورة . وهذا النظم كما تراهُ ليس فيهِ شيءٌ من ديباجة الشعر ولا عليهِ طلاوة سائر كلام هذا الشاعر وذلك لانهُ حكاية واقعة اضطرّ الى سردها لا تحتمل شيئاً من التخييل وانظر اين هذا من قولهِ بعد ذلك

لكلفتني ذنب امرئٍ وتركتهُ ... كذي العرّ يُكوَى غيرهُ وهو راتعُ
فان كنتُ لاذو الضغن عني مكذّبٌ ... ولا حلفي على البراءة نافعُ
ولا انا مأمونٌ بشيءٍ اقولهُ ... وانت بامرٍ لا محالة واقعُ
فانك كالليل الذي هو مدركي ... وان خلتُ ان المنتأى عنك واسعُ

العرّ قروحٌ تخرج باعناق الفصلان قيل فاذا ارادوا ان يعالجوهُ كووا بعيراً صحيحاً فيبرأ صاحب العرّ وهو من خرافات العرب وقيل غير ذلك . ومثلهُ ما ذكرهُ في قصة زرقاء اليمامة المشهورة حيث قال

احكم بحكم فتاة الحيّ اذ نظرت ... الى حمامٍ سراعٍ وارد الثمدِ
قالت الا ليتما هذا الحمام لنا ... الى حمامتنا ونصفهُ فقدِ
فحسبوهُ فألفوهُ كما حسبت ... تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزدِ
فكملت مئةً فيها حمامتها ... واسرعت حسبةً في ذلك العددِ

فان هذا النظم اشبه باراجيز العلوم منهُ بكلام الشعراء فضلاً عما فيهِ من الحشو واللغو في شطرهِ الاخير وقد جاء بين هذه الابيات بيتٌ اوردهُ بعد البيت الاول تراهُ كانهُ من نسيجٍ آخر وهو قولهُ

يحفُّهُ جانبا نيقٍ وتُتبعهُ ... مثلَ الزجاجة لم تُكحَل من الرمدِ

يحفهُ اي يحيط بهِ والهاء للحمام . والنيق الجبل العالي . وقولهُ مثل الزجاجة نعت لمحذوف اي تُتبعهُ عيناً مثل الزجاجة يريد عين الزرقاء المذكورة يصفها بالصفاء والسلامة من الداء حتى انها لم ترمد ولم تُكحَل لعلّة

على ان هذه الاقاصيص والوقائع وان خلت عن غرض الشعر فان فيها فائدة علمية لا تنكر لان الشعر اسهل استظهاراً وابعد عن التحريف والفساد لتقييدهِ بالوزن والقافية وعنهُ أُخذ معظم تواريخ العرب ووقائعهم وانسابهم وعاداتهم وعباداتهم وسائر شؤونهم ولولاهُ لم يصل الينا ما نقف منهُ على حقيقة ما كانوا عليهِ . ومثل ذلك القصائد العلمية من الاراجيز وغيرها كمنظومات النحو والبيان والمنطق والطب وغيرها وكالقصائد التي ضُبطت فيها بعض الفاظ اللغة وقيودها وغير ذلك من الفوائد والنظم في ذلك كلهِ اكثر من ان يُحصى والغرض من جميعهِ واحد وهو ضبط هذه الاشياء في الفاظٍ مقدّرة لا تقبل النقص ولا الزيادة . وهذا كما لا يخفى من النظم الذي

لهُ قالب الشعر دون اسلوبهِ ومعانيهِ وهو الذي ينطبق عليهِ تعريف العروضيين فيما سبق كما ان بعض الشعر مما تقدم في اوائل هذه المقالة لهُ من الشعر اسلوبهُ ومعانيهِ دون قالبهِ فهما على طرفي نقيض ولكلٍّ منهما موضعٌ لا يصلح لهُ الآخر

وقد اطلنا في هذا البحث بما لعل المزيد عليهِ يؤدي الى ملل المطالع فنقف منهُ عند هذا القدر وقد بقي في كل ما ذكر كلامٌ طويل لو شئنا ان نوفيهُ حقّهُ لاقتضى مجلداً برأسهِ فاقتصرنا منهُ على ذكر المهمّ مما لم نجد فيهِ بياناً لغيرنا والله سبحانهُ اعلم بالصواب وهو وليّ الهداية

السلُّ الرئوي

لحضرة النطاسي البارع الدكتور حبيب همام

لا بُدَّ لي قبل البحث في هذا الموضوع من ان المّ بطرفٍ من الكلام عن المكروبات عموماً وعلاقتها بالامراض خصوصاً فأقول

انهُ قد تبين عند اهل البحث انّ في العالم المنظور عالماً غير منظور هو عالم المكروب وهذا المكروب منهُ ما هو نافعٌ ومنهُ ما هو ضارٌّ فالنافع منهُ ما يعيش على جثث الحيوانات الميتة والنباتات والاعشاب اليابسة فيُحدث فيها الاختمار والفساد ويُحلّلها الى العناصر البسيطة التي تركّب منها بحيث تصير صالحة لغذاء ونماء حيوانات ونباتات أُخر . وهكذا تتعاقب الحياة والموت والتركيب والتحليل وتتمّ حلقة نظام الحياة ويلزم فيها الدور الى ما شاء الله من الازمان ولولا ذلك لنفد ما في الارض من الغذاء وانقرض

النبات والحيوان عن وجه البسيطة . واما الضارُّ منهُ فهو النوع الذي يعيش حلَمياً على الاجسام الحيَّة فيغتذي منها ويسبب الادواء والموت اما بمبرزاتهِ السامَّة او باتلافهِ ما بهِ قوام الحياة . وقد تبين ايضاً ان في جسم الحيوان حُوَيصلات وكُرَيَّات شبيهة بهذا المكروب فاذا التقى الفريقان في جسم حيوانٍ ما حصل بينهما قتالٌ شديد وحربٌ عوان يدعوهما اليها تنازع البقاء فان كانت الحرب بينهما سجالاً راوح الحيوان بين ابلالٍ وانتكاس وان عُقد النصر لاحدهما قُضي على الآخر بالهلاك والموت . ومعلومٌ ان جسم الانسان ليس الا مجموع هذه الحُوَيصلات والكُرَيَّات فان خرجت من معترك تنازع البقاء سليمة كان هو سليماً وان دارت عليها دوائر الحرب واهلكتها هلك هو ايضاً وما الداء الذي نحن بصددهِ الآن الا نزاعٌ من هذا القبيل . فاذ قد تبين ذلك نقول

ان السلّ الرئوي او التدرُّن الرئوي هو مرضٌ تتصلَّب فيهِ بعض الانسجة الرئوية ثم تحول حؤولاً جبنياً ثم تنحل وتلين وتخرج بالسعال نفثاً عن طريق المجاري الهوائية فينشأ عن ذلك كهوفٌ في الرئتين واندثارٌ في الانسجة وانحطاطٌ في البنية وحمّى وضعف وهزال وغير ذلك من الاعراض المعهودة في هذا الداء ويعقب ذلك في غالب الاحيان الموت اما بسبب عدم كفاية ما يبقى سليماً من الانسجة الرئوية لتنقية الدم واتمام هذه الوظيفة المهمة او بسبب الحمى والضعف الملازمين هذا الداء او بسبب انتشار العلة في كثير من اقسام الجسم

اما مكروبهُ فقطرٌ من نوع الراجبيَّات يُرَى بالمجاهر المعظمة ممشوق